

روح المعاني

وهذا التعطل الحاصل باسترخاء الأعصاب الدماغية المتصلة بالآت الإدراك هو النوم وما يتراءى هناك هو الرؤيا إلا أن المتكلمين والحكماء المشائين والمتأهلين من الإشراقين والصوفية اختلفوا في حقيقتها إلى مذاهب فذهب المعتزلة وجمهور أهل السنة من المتكلمين إلى أن الرؤيا خيالات باطلة ووجه ذلك عند المعتزلة فقد شرائط الإدراك حالة النوم من المقابلة وانبثاث الشعاع وتوسط الشغاف والبنية المخصوصة إلى غير ذلك من الشرائط المعتبرة في الإدراك عندهم وعند الجماعة وهم لم يشترطوا شيئا من ذلك أن الإدراك حالة النوم خلاف العادة وأن النوم ضد الإدراك فلا يجامعه فلا تكون الرؤيا إدراكا حقيقة وقال الأستاذ أبو إسحاق : إن الرؤيا إدراك حق إذ لا فرق بين ما يجده النائم من نفسه من إبطار وسمع وذوق وغيرها من الإدراكات وما يجده اليقظان من إدراكاته فلو جاز التشكيك فيما يجده النائم لجاز التشكيك فيما يجده اليقظان ولزم السفسة والقدح في الأمور المعلومة حقيقتها بالبديهة ولم يخالف في كون النوم ضدا للإدراك لكنه زعم أن الإدراكات تقوم بجزء من أجزاء الإنسان غير ما يقوم به النوم من أجزائه فلا يلزم إجتماع الضدين في محل .

وذهب المشاءون إلى أن المدرك في النوم يوجد في الحس المشترك الذي هو لوح المحسوسات ومجمعها فإن الحواس الظاهرة إذا أخذت صور المحسوسات الخارجية وأدتها إلى الحس المشترك صارت تلك الصور مشاهدة هناك ثم إن القوة المتخيلة التي من شأنها تركيب الصور إذا ركبت صورة فربما انطبعت تلك الصورة في الحس المشترك وصارت مشاهدة على حسب مشاهدة الصورة الخارجية فإن مدار المشاهدة الإنطباع في الحس المشترك سواء إنحدرت إليه من الخارج أو من الداخل ثم إن القوة المتخيلة من شأنها التصوير دائما لا تسكن نوما ولا يقظة فلو خليت وطباعها لما فترت عن رسم الصور في الحس المشترك إلا أنه يصرفها عن ذلك أمران أحدهما توارد الصور من الخارج على الحس المشترك إذ بعد انتقاشه بهذه الصورة لا يسع أن ينتقش بالصورة التي تركيبها المتخيلة وثانيهما تسلط العقل أو الوهم عليها بالضبط عندما يستعملانها في مدركاتهما ولا شك في إنقطاع هذين الصارفين عند النوم فيتسع لإنتقاش الصور من الداخل فيكون ما يدركه النائم صورا مرتسمة في الحس المشترك وموجودة فيه وهو الرؤيا إلا أن منها ما هو صادق ومنها ما هو كاذب وأما الأولى فهي التي ترد تلك الصور فيها على الحس المشترك من النفس الناطقة وبيانه أن صور جميع الحوادث ما كان وما يكون مرتسمة في المبادي العالية التي يعبر عنها أرباب الشرع بالملائكة ومنطبعة بالنفوس المجردة الفلكية واتصال النفس المجردة بالمجرد لعله الجنسية أشد من اتصالها بالقوى الجسمانية فمن شأنها

أن تتصل بذلك وتنتقش بما فيه إلا أن إشتغالها بالحواس الظاهرة والباطنة واستغراقها بتدبير بدنها يمنعانها عن ذلك الإتصال والانتقاش لأن إشتغال النفس ببعض أفاعيلها يمنعها من الإشتغال بغيره فإن الذي لا يشغله شأن عن شأن هو الله تعالى الواحد القهار ولا يمكن إزالة العائق بالكلية إلا أنه يسكن إشتغالها بالإدراكات الحسية حالة النوم إذ في اليقظة ينتشر الروح إلى ظاهر البدن بواسطة الشرايين وينصب إلى الحواس الظاهرة حالة الإنتشار ويحصل بها الإدراك فتشتغل النفس بتلك الإدراكات وأما في النوم الذي هو أخ الموت فينحبس الروح إلى الباطن ويرجع عن الحواس الظاهرة بعد انصبا به إليها فتتعطل فيحصل للنفس أدنى فراغ فتتصل بتلك المبادي إتصالا روحانيا معنويا وتنتقش ببعض ما فيها مما إستعدت هي له كالمرايا إذا حوذى بعضها ببعض فانتقش في بعضها ما يتسع